حدثتني جدتي

الجندي الرصاصي



دار المجاني



أُهْدِيَ مازِنُ عُلْبَةً مِنْ خمسةٍ وَعِشْرينَ جُنْدِيًّا صَغيرًا مِنَ الرَّصاص. وَكانَ مِنْ بَيْنِهِم جُنْدِيٌّ مِنْ دونِ ساق، لكنَّهُ كانَ يَقِفُ مُسْتَقيمًا فَخورًا مِثْلَ الآخَرين.



بَعْدَ أَنِ ٱنْتَهى مِنَ اللَّعِب، نَسِيَ مازِنُ عَلى الطَّاوِلَةِ ذا السّاقِ الواحِدَة. فَوَقَعَ نَظَرُهُ عَلى راقِصَةٍ مِنْ وَرَقٍ واقِفَةٍ عَلى مَدْخَلِ قَصْرٍ مِنَ الكَرْتونِ تَرْتَدي فُسْتانًا عَلى كَتِفِهِ زَهْرَةٌ بَرّاقَة.

أَحَبَّ الجُنْدِيُّ تِلْكَ الفَتاةَ الفاتِنَة، فَراحَ يُحَدِّقُ بِها وَقَدْ بادَلَتْهُ الشُّعورَ بِنَظَراتٍ مُتَّقِدَة.



أَقْبَلَ اللَّيْلُ، فَدَنى الجُنْدِيُّ مِنَ الرّاقِصَةِ وَباحَ لَها بِحُبِّهِ. فَفَرِحَ إِذْ كانَ الحُبُّ مُتَبادَلاً!

فَجْأَةً، انْفَتَحَتْ عُلْبَةٌ خَضْراءُ أَمامَ الجُنْدِيِّ وَخَرَجَ مِنْها بَهْلَوانٌ غَيور.

وَصَرَخَ: «أَنْتَ، أَيُّها الجُنْدِيّ! الرّاقِصَةُ لي وَلَنْ تَحْصُلَ مِنْها عَلى شَيْءٍ. اِبْتَعِدْ عَنْها وَإِلاّ سَتَدْفَعُ الثَّمَنَ غالِيًا» ثُمَّ اخْتَفى في عُلْبَتِهِ.



فِي الْيَوْمِ التَّالِي، وَضَعَ مازِنُ الجُنْدِيَّ عَلى شُرْفَةِ النَّافِذَةِ الَّتي راحَ يَتَأَمَّلُ مِنْها راقِصَتَهُ وَهُوَ يُفَكِّرُ: «آهٍ، لَوْ أَسْتَطيعُ الرَّقْصَ مَعَها في القَصْرِ!». لَكِنَّ البَهْلَوانَ خَرَجَ بَغْتَةً مِنْ عُلْبَتِهِ وَدَفَعَ الجُنْدِيَّ، فَهَوَى مِنْ عَلى النَّافِذَةِ. فَهَمَسَ الجُنْدِيُّ: «وَداعًا يا حَبيبَتي! لَنْ أَراكِ بَعْدَ اليَوْمِ...».

سَقَطَ المِسْكينُ رَأْسًا عَلى عَقِبٍ عَلى حافَّةِ الطَّريقِ. فَرَكَضَ مازِنُ يَبْحَثُ عَنْهُ وَلَكِنْ مِنْ دونِ جَدْوى.

بَدَأَ المَطَرُ يَهْطُلُ. فَسَأَلَ الجُنْدِيُّ نَفْسَهُ عَمَّ سَيَكونُ مَصيرُهُ وَهُوَ لَمْ يَرَ المَطَرَ يَوْمًا في حَياتِهِ.



تَوَقَّفَ المَطَرُ، فَإِذا بِفَتَيَيْنِ يُشاهِدانِهِ عَلى تِلْكَ الطَّريقِ. قالَ أَحَدُهُما: «اُنْظُرْ، جُنْدِيٌّ مِنْ دونِ ساقٍ! فَلْنُرْسِلْهُ بِرِحْلَةٍ في مَرْكَبٍ». وقالَ الآخَرُ: «إِلَيْكَ قِطْعَةَ جَريدَةٍ... وَها هُوَ المَرْكَبُ والطّاقَمُ!».

وَضَعَ الفَتَيانِ الجُنْدِيَّ في المَرْكَبِ وَأَوْدَعاهُ عَلى مِياهِ مِزْرابٍ. بَدَأَ المَرْكَبُ إِبْحارَهُ مُسْرِعًا إِلى أَنِ ٱنْتَهى في مِياهِ الصَّرْفِ الصِّحِّيِّ.

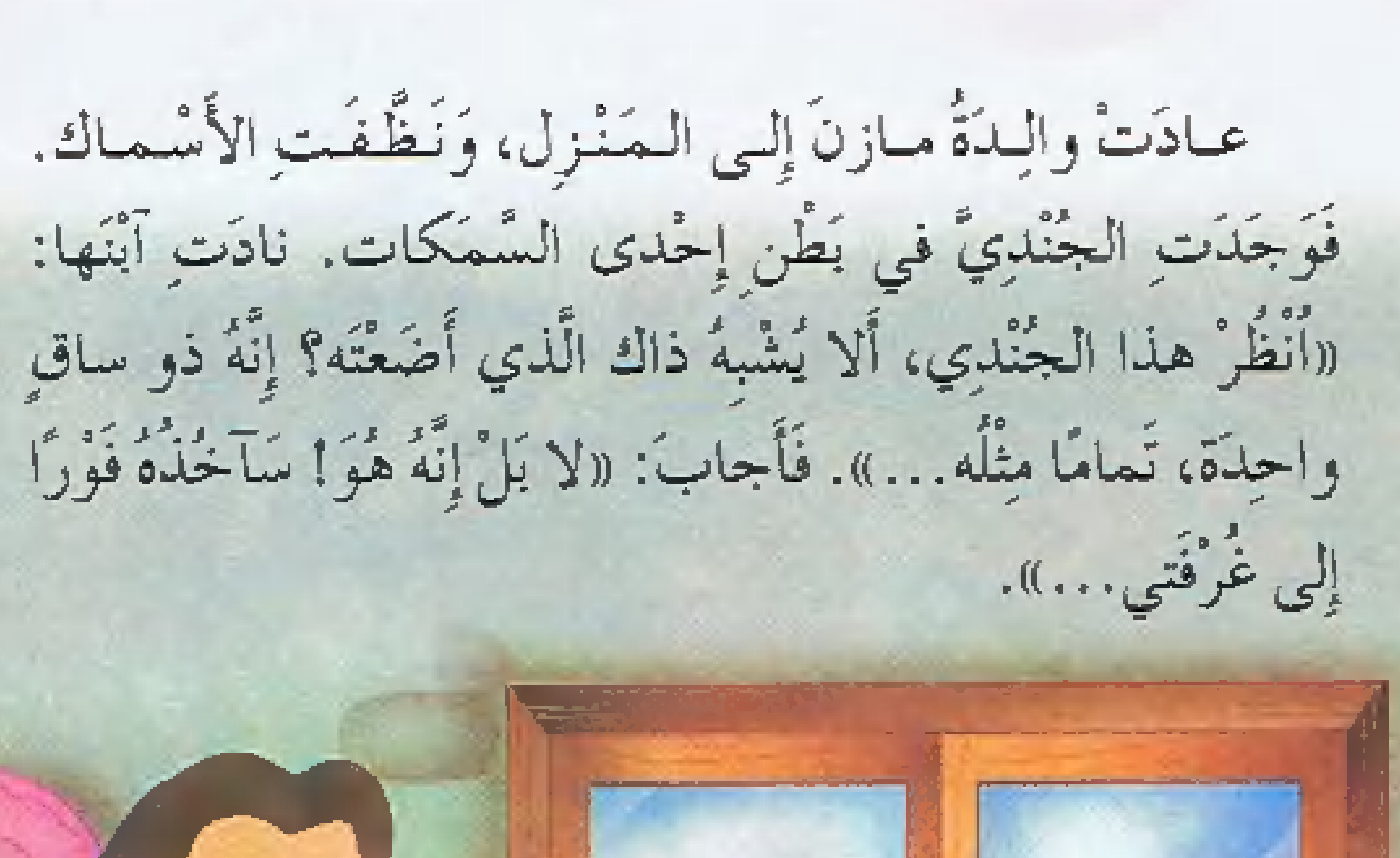
راحَ المَرْكَبُ يَسْبَحُ بِسُرْعَةٍ في تِلْكَ المِياه، يُطارِدُهُ جُرَذ. تَبَلَّلَتِ الوَرَقَةُ وَكادَ المَرْكَبُ يَغْرَقُ، غَيْرَ أَنَّهُ وَصَلَ إِلى النَّهْر. أَغْمَضَ الجُنْدِيُّ عَيْنَيْهِ مُتَوَقِّعًا مَصيرَه...

وإِذا بِسَمَكَةٍ تَبْتَلِعُه، فَيَسْتَعيدُ نَشاطَهُ قَليلاً في بَطْنِها. لكِنْ، ما إِنْ بَدأَ يُراوِدُهُ الحنينُ إِلى القَصْرِ وإِلى حَبيبَتِه، حَتّى اسْتَوْلى عَلَيْهِ الضَّياعُ فَغَصَّ قَلْبُهُ على الرَّغْمِ من شَجاعَتِهِ وَبَسالَتِه.



حالَفَهُ الحَظّ: آصْطيدَتِ السَّمَكَةُ وَبيعَتْ لِسَمّاكٍ تَعْرِفُهُ والِدَةُ مازنَ وَآشْتَرَتْ منهُ أَرْبَعَ سَمَكاتٍ وَمِنْ بَينِها السَّمَكَةِ الَّتي آبْتَلَعَتِ الجُنْدِيّ.

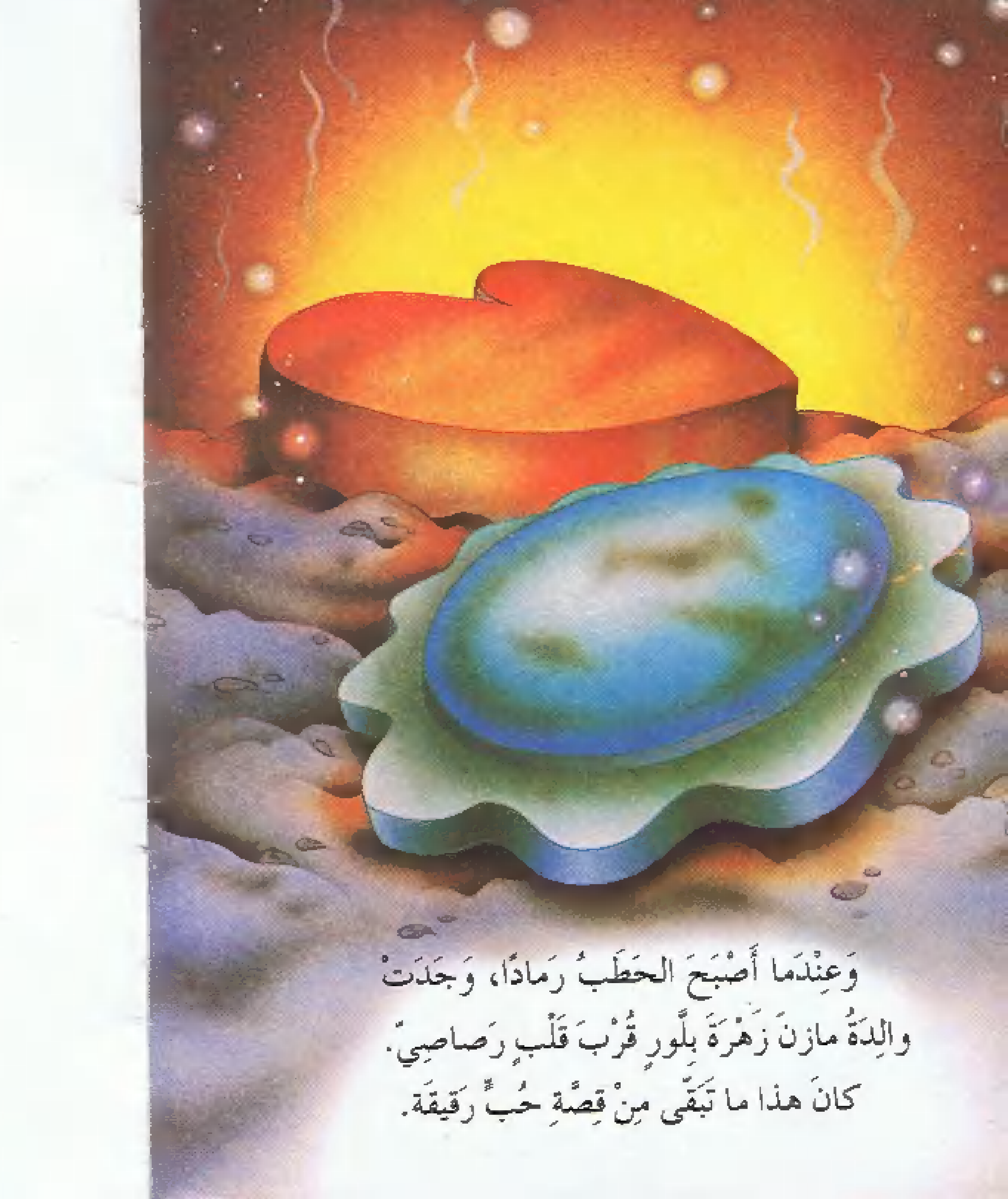
عادَتْ والِدَةُ مازنَ إِلى المَنْزِل، وَنَظَّفَتِ الأَسْماك. فَوَجَدَتِ الجُنْدِيَّ في بَطْنِ إِحْدى السَّمَكات. نادَتِ آبْنَها: «أُنْظُرْ هذا الجُنْدِي، أَلا يُشْبِهُ ذاكَ الَّذي أَضَعْتَه؟ إِنَّهُ ذو ساقٍ واحِدَة، تَمامًا مِثْلُه...». فَأَجابَ: «لا بَلْ إِنَّهُ هُوَ! سَآخُذُهُ فَوْرًا إِلى غُرْفَتي...».





هَكَذا عادَ الجُنْدِيُّ إِلى الطّاوِلَةِ مُجَدَّدًا أَمامَ حَبيبَتِهِ الرّاقِصَة. إِلْتَفَّ الجَميعُ مِنْ حَوْلِهِ مُرَحِّبينَ بِهِ، لكِنَّهُ لَمْ يَأْبَهْ إِلاَّ لِوجُودِ الفَتاةِ الّتي أَحَبّ.

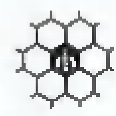
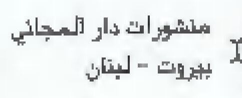
إِنَّما البَهْلَوانُ الغَدّارُ خَرَجَ مِنْ عُلْبَتِهِ وَرَمى هذِهِ المَرَّةَ الجُنْدِيَّ في المَوْقِد. فَقالَ في نَفْسِهِ: «وَداعًا يا حَبيبَتي الجَميلَةَ وَداعًا!». وَفَجْأَةً، حَمَلَتْ رِياحٌ الرّاقِصَةَ وَوَضَعَتْها بَيْنَ ذِراعَيْ الجُنْدِيّ. فَانْتَهى كِلاهُما في المَوْقِد.



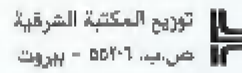
وَعِنْدَما أَصْبَحَ الحَطَبُ رَمادًا، وَجَدَتْ والِدَةُ مازِنَ زَهْرَةَ بِلَّورٍ قُرْبَ قَلْبٍ رَصاصِيٍّ.
كانَ هذا ما تَبَقَّى مِنْ قِصَّةِ حُبٍّ رَقيقَةَ.

حدّثتني جدّتي





منشورات دار المجاني
بيروت - لبنان

ISBN: 9953-16-146-1



توزيع المكتبة الشرقية
ص.ب. ٥٥٢٠٦ - بيروت